# قصور الشاه بالأمس… متاحف طهران اليوم

عندما تذهب إلى طهران، تجد أن القصور المتبقيّة من العهد الملكي أصبحت اليوم مقاصد للسّياح؛ وهي القصور التي سكنها □□□□ □□□ □□□ آخر ملوك إيران وأعضاء أسرته. كان الشاه يستخدم هذه القصور حتى آخر أيام حكمِه ومغادرته إيران قبيل انتصار الثورة عام 1979 بسبب تصاعد حدّة الاحتجاجات.

وغادر محمد رضا شاه آخر ملوك إيران قصر "نيافَران" (Niavaran) الواقع شمال شرق طهران يوم 16 يناير 1979 متّجهًا نحو مطار "مهرآباد" في طهران، ومن هناك غادر البلاد أبدًا. وقبل أيام من مغادرته القصر دعا الشاهُ الصحفيين الأجانب لتفقّد القصر من الداخل والخارج ليُشهدهم على أنه سيترك كلّ شيء، ولن يأخذ معه أيّ شيء من القصر، وقد زار الصحفيّون أماكن خاصة كداخل خزانات الألبسة، وذلك لأوّل مرة. وبعد انتصار الثورة الإسلامية عام 1979 بقيادة الخميني، اقتحم الشعب والثّوار قصور الشاه التي كانت تحت حماية قوّات الحرس الملكي (غارْد جافيدان). وبما أن هذه القوات كانت تتجنّب مواجهة المحتجّين حتى في الشوارع، فقد حافظ الثّوار على هذه القصور من النهب بعد انتصار الثورة الإسلامية. وبعد تشكيل اول حكومة بعد الثورة أصبحت مسؤولية الحفاظ على هذه القصور على عاتق منظمة التّراث الثقافي قبل أن تتحوّل إلى متاحف.

والآن عندما تزور طهران يمكنك زيارة هذه القصور المحوّلة إلى متاحف، ورؤية نوعية الهندسة المعمارية المستخدمة فيها، والمعالم الفنية والثقافية الفريدة. وثمة قصور كثيرة في طهران كانت تابعة للأسرة الملكية من أبرزها قصر "سعْدآباد" و"نيافَران" و"مَرمر" و"كُلِستان"، وكان للأسرة الملكية قصورٌ أخرى خارج العاصمة طهران وفي مدنٍ إيرانية أخرى منها مدينتا "رامْسَر" شمالي إيران و"كَرَج". **مجموعة قصور سعْدآباد** تقع مجموعة قصور "سعدآباد" شمال طهران، وهي عبارة عن حديقة شاسعة تضمّ عددًا من القصور التي كان قد شيّدها ملوك القاجار في طهران في القرن التاسع عشر، ثمّ تمّ توسيعها في عهد الحكم البَهلويّ، حيث تمّت إضافة قصور أخرى لها.

تقع المجموعة بالقرب من منطقة "دَربَند" الواقعة على سفح الجبل في شمال طهران، وهي مقصد لكثير من سكّانِ طهران خلال عطلة آخر

الأسبوع، حيث يقع الكثير من المطاعم، وتزيّن المنطقة شلاّلات جميلة، جعلت منها إحدى أكبر المتنزهات في العاصمة الإيرانية. "القصر الأبيض"، هو أكبر قصور مجموعة سعدآباد، وكان المقرّ الصيفيّ لمحمّد رضا شاه البهلوي وزوجته وأبنائه. في مدخل القصر الأبيض كان هناك تمثال معدنيّ ضخم لرضا شاه (الشاه الأب)، وقد تمّ قصّه بعد الثورة من فوق الجزمة، فلم يتبقّ من التمثال سوى جزمته الكبيرة. وكان يعرف رضا شاه بـ "صاحب الجزمة". وفي القصر الأبيض أيضًا تمّ وضع فاصل زجاجي أمام مداخل الغرف لمنع الزوّار من الدخول، حيث يمكنهم رؤية داخل الغرف والصّالات من فوق الفاصل الذي لا يتجاوز ارتفاعه المتر الواحد، وتمتلئ هذه الغرف والصّالات بالكراسي التي تضمّ الأرائك والسجّاد والستائر الفخمة التي تشكّل تدرّجات لونية جميلة.

السجّاد المنسوج بأيدي نساجين محترفين من إصفهان وكاشان وغيرها من المدن الإيرانية، والأرائك والستائر الفرنسية الفخمة، بالإضافة إلى اللوحات الفنية والهدايا المقدّمة من مختلف أنحاء العالم، بما فيها التماثيل المعدنية للنخيل وأثمارها الذهبية المهداة من أمير البحرين آنذاك إلى شاه ايران، نراها كلّها في القصر الأبيض.

ويمكن للزائر مشاهدة جميع الغرف والصّالات بما فيها غرفة الانتظار، وغرفة العمل، وغرفة الاستقبال، وقاعة الطعام، وغرف النوم، وغرف أخرى كانت متعلقة بعائلة الشاه. تضمّ مجموعة سعدآباد للقصور العديد من القصور التي تحوّلت جميعها إلى متاحف بما فيها مطبخ القصر الذي تحوّل إلى متحف "المطبخ الملكي"، وهو لم يكن سوى بناء صغير في وسط الحديقة. وفي متحف المطبخ الملكي يمكن مشاهدة قائمة طعام الشاه وأفراد أسرته اليومية، كما يمكن مشاهدة جهازيْن ألمانيَّي الصناعة لفرم اللّحم وتقطيع البطاطا، بالإضافة إلى عدد كبير من الصحون النحاسية وأواني تقديم الشاي من الفناجين والصحون والمعالق والسّماورات وأباريق الشاى بمختلف الأحجام، والمزينة بنقوشٍ تقليدية. وقد تحوّلت جميع القصور بما فيها قصور "الملكة الأم" و"القصر الأخضر" و"قصر وليّ العهد" إلى متاحف مستقلّة. على سبيل المثال ملابس أفراد الأسرة الملكية معروضة في "متحف الأزياء الملكية"، والصور الفوتوغرافية وألبومات صور حفل زواج محمد رضا شاه من "فوزية"، شقيقة الملك المصري آنذاك، معروضة في "متحف الصّور الملكية"، والهدايا والمعالم الفنية التي كانت قد أُهديت للشاه أو قد جلبها بنفسه فمعروضة في متاحف مستقلة تحمل العنوان نفسه.

وقد تمّ تحويل أحد القصور إلى متحف لعرض المعدّات التاريخية والقديمة التابعة للجيش الإيراني، وقصر آخر لعرض لوحات الرّسم للفنان الإيرانى الشهير "فرشجِيان". كما تمّ تخصيص جزء من قصر سعدآباد إلى رئاسة الجمهورية حيث يعمل الرئيس بعضًا من لقاءاته في هذا القصر. وجزء آخر من القصر قد تمّ تخصيصه لاستقرار الضّيوف الأجانب من المستويات العليا بما فيهم زعماء الدول. **قصر نيافَران** ومن القصور الملكية الأخرى التي قد تحوّلت إلى متحف هو قصر نيافَران الواقع في شمال شرق طهران، حيث تقع حديقة كبيرة في نهاية شارع نيافَران، وهو الشارع الذي قد تغيّر اسمه بعد الثورة، فصار يُعرف اليوم باسم شارع باهنر؛ وهو قصر يبدو وكأنه بيتٌ لرجلٍ غنيّ، وليس قصرًا ملكيًّا.

وهو المكان الذى احتفل به الرئيس الأمريكى "جيمي كارتر" في آخر رحلاته الى ايران (1977) بعيد رأس السنة الميلادية برفقة الشاه في الطابق الأرضي للقصر، وهناك وصف كارتر إيران بـ"جزيرة الاستقرار"؛ القول الذى تبين في أقل من عام أنه غير صحيح، حيث سقط الحكم البهلوي الذي كان يعدّ الأقرب إلى واشنطن، وحلّ مكانه أشدّ حكومات الشّرق الأوسط عداءً لأمريكا. وهناك معالم ثقافية وفنية تكسو جميع أنحاء القصر مصمّمة كما كان يروق لـِفَرح، زوجة الشاه الثالثة والأخيرة، والتي كانت قد درست فرع الهندسة المعمارية في باريس، وكانت مهتمّة بالفنّ والثقافة. وقد تمّ استخدام تقنية ألمانية فى سقف القصر المتحرّك الذي يمكن فتحه وإغلاقه. كما يمكن مشاهدة النقوش الإيرانية في جميع زوايا القصر. ومن الأماكن الأكثر جاذبية هي مكتبة القصر، حيث تضمّ كمًّا كبيرًا من الكتب ذات المواضيع المتنوعة بما فيها الكتب التي قدّمها الأمريكي "والت ديزنى" لأبناء محمّد رضا شاه خلال رحلتهم إلى أمريكا. وكان قصر نيافَران المأوى الأخير للأسرة الملكية، حيث أقامت الأيام الأخيرة قبل مغادرتها إيران في هذا المكان. وكان الشاه وزوجته وأبناؤهما يسمعون صوت المتظاهرين والشعارات المناهضة للشاه كـ"الموت للشاه"، وهم داخل القصر، كما كان يمكنهم تخمين عدد المتظاهرين.

وإلى جانب قصر نيافَران تقع قصورٌ أخرى منها قصر "جَهان نَما". وفي هذا القصر توجد مجموعة من اللوحات الفنّية الخاصة بزوجة الشاه سواء تلك التي حصلت عليها كهدية أو التي قامت بشرائها، وتضمّ هذه المجموعة لوحاتٍ وتماثيل لفنّانين إيرانيين وعالميين من أمثال [illegible].

ومتحف السّيارات أيضًا هو من الأماكن السياحية في قصر نيافَران،

ويضمّ هذا المتحفُ أنواعَ السّيارات بما فيها تلك التي صنعتْها شركة "رولز رويس" خصيصًا للشاه، والسّيارات الكهربائية التي كان يلعب بها أبناء الشاه عند طفولتهم، والعربات التي يبدو أن أفراد الأسرة الملكية كانوا يستخدمونها عند سفرهم إلى شمال البلاد، وللتجوال في ساحلِ البحر بحسب ما تظهره الصور. **قصر "كُلستان" وقصر "مَرمر"** يقع قصر "كُلستان" بالقرب من السّوق الكبير (البازار) فى طهران، ويضمّ مبنى "شمس العمارة" الذي يعود إلى العهد القاجاري، وكانت يعدّ كأعلى عمارة في طهران، ورمزًا للمدينة آنذاك، حيث يبلغ طولها 35 مترًا. وقد شُيّد قصر "كلستان" قبل 440 عامًا، وقد تمّ تسجيله من قبل لجنة التراث العالمي لليونسكو. كان قصر "كلستان" محلّ تتويج محمد رضا شاه، حيث أقيم حفل التتويج في صالة "آئينه" (المرآة)، الصالة الرئيسية للقصر والمغطاة جدرانها بقطعٍ زجاجية، وهو فنٌّ إيراني قديم يستخدم لتزيين الأماكن. وكان غالبًا ما يتمّ استخدام قصر "كلستان" من قبل الملوك القاجاريين، ومازال يحتفظ القصر ببعض معالم الحكم القاجاري. ويقع قصر "مرمر" بالقرب من قصر "كلستان"، وقد تمّ تغيير اسمه إلى "عمارة قدْس" بعد الثورة الإسلامية. وكان يستخدمه الرئيس الإيراني السابق، أكبر هاشمي رفسنجاني، مكتبًا له حتى وفاتِه. كان قصر "مرمر" محطةً للعديد من الأحداث التاريخية؛ حيث تعرّض شاه إيران فى هذا القصر إلى محاولة اغتيال فاشلة في ابريل 1965. كما أنه كان قصرًا لرضا شاه (الشاه الأب) قبل أن يعتلي ابنه العرش، وقد كتب رضا شاه نصّ استقالته في هذا القصر، وذلك بعد تعرّضه إلى هجوم من قبل قوّات الاتحاد السوفيتي شمالاً والقوات البريطانية جنوبًا، خلال الحرب العالمية الثانية. ويعدّ قصر "مرمر" الذي يتميز بقبّته الجميلة جزءًا من العمارات المستخدمة حكوميًّا، ولذلك لا يمكن زيارته، ولم يتحوّل إلى متحف كما حال القصور الأخرى. وهكذا تحوّلت قصور الملوك الإيرانيين إلى متاحف في طهران، وأصبحت محطّة للاطلاع على تاريخ الحكم في إيران على مدى قرون.

خديجة حيدري

المصدر: موقع رصيف 22